الحياة السياسية في حياة مسلمة ودوره وجهاده فيها

الباحث/ محمد محمد إسماعيل جاد

وتشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : مسلمة ومسألة الخلافة .

المبحث الثاني : مسلمة ومسألة ولاية العهد .

المبحث الثالث : مسلمة وموقفه تجاه بعض الميول والحركات السياسية .

١- مسلمة ومسألة الخلافة :

ليس لدينا – من النصوص التاريخية – ما يشير إلى أن مسلمة بن عبدالملك كان يظهر طموحاً أو ميلاً في سبيل الوصول إلى كرسي الخلافة .. وذلك رغم ما تجلت في شخصيته من خصائص وصفات تؤهله لنيل مثل هذا المنصب.

فقد قيل عنه " لم يكن لعبد الملك بن مروان إبن أسد رأياً ، ولا أذكى عقلاً ولا أشجع قلباً ، ولا أسمح نفساً ، ولا أسخى كفاً من مسلمة " [١]

وقد قيل فيه أيضاً : " وكان مسلمة شجاعاً ، وخطيباً ، وبارع اللسان. ولم يكن في ولد عبدالملك مثله ومثل هشام بعده "[٢]

وأخيراً ، قال عنه الذهبي : " وكان مسلمة أولى بالخلافة من سائر إخوته..."[٣]

ويبدو أن مسلمة – سواء كان يشعر ، أو لا يشعر بمثل هذه السمات والخصائص في نفسه – ولكنه لم يستغلها للإعراب عن طموحه في سبيل الوصول إلى كرسي الخلافة ، أو حتى إلى منافسة إخوته الأربعة الذين وصلوا إلى هذا المنصب[٤].

---

[١]: ابن عبدربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ١٣١.

[٢] ار الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ٣ ، ص ١٨٩.

[٣]: خير الدين الزركلي ، كتاب الأعلام ، ط ٢ ، ج٢ ، بيروت ، ١٩٥٤ ، ص ١٢٢.

[٤] وهم :

الوليد بن عبدالملك : خلافته من ٨٦ هـ – ٩٦ هـ / ٧٠٥م – ٧١٥م .

سليمان بن عبدالملك : خلافته من : ٩٦ هـ – ٩٩ هـ / ٧١٥ م – ٧١٧م .

يزيد بن عبدالملك : خلافته من ١٠١ هـ – ١٠٥هـ / ٧٢٠م – ٧٢٤م .

هشام بن عبدالملك : خلافته من : ١٠٥ هـ – ١٢٥ هـ / ٧٢٤ م – ٧٤٣م .

وليس لدينا أيضاً – من النصوص التاريخية – ما يشير إلى ظهور ميل لدى عبدالملك بن مروان ، أو أي واحد من أخوة مسلمة الأربعة السابقي الذكر إلى تعيين مسلمة أو ترشيحه لمنصب الخلافه ...

لم كان ذلك كله ؟ ؟ وكيف يمكن تفسيره وتعليله ؟ ؟

لقد حاول بعض المؤرخين القدامى تقديم تعليل بهذا الخصوص ، وقد ركزوا في ذلك على كون مسلمة بن عبدالملك " ابن أمه " ، وقد جاراهم في هذا التعليل بعض المؤرخين المحدثين...

ويظهر أن الطابع العام الذي صورته لنا بعض هذه المصادر التاريخية بأن النظرة العامة التي كانت سائدة في ظل الحكم الأموي نحو المولى[1] .

أو " ابن الأمه "[2] كانت نظرة ازدراء واحتقار بحيث لا تؤهل أياً منهما من الوصول إلى منصب الخلافة ، أو إلى مناصب سياسية أو إدارية عليا في الدولة ... ولا شك أن مثل هذه النظرة لم تكن واقعية أو منسجمة مع ما كان يحدث فعلاً من وصول بعض من هؤلاء إلى مثل هذه المناصب.

والتاريخ الأموي يحدثنا عن بروز بعض من هؤلاء إلى مناصب الولاية ، والقيادة والقضاء كما وصل بعض منهم إلى كرسي الخلافة ، مثل يزيد الثالث الملقب بالناقص وأمه فارسية ، وكذلك مروان بن محمد الملقب بالحمار – وهو آخر خلفاء بني أمية ، وأمة كردية..

وعليه ، فالتعليل القائل بأن " إبن الأمه " غير مؤهل للوصول إلى منصب الخلاقة بصورة خاصة – وهو ما ينطبق على مسلمة بن عبدالملك – هو تعليل غير واقعي ولا منطقي ، لذا آلينا تركيز كلامنا هنا على هذا التعليه وذكر المصادر والمراجع التي قالت به مع مناقشته وتحليله ونقده.

فقد جاء من ذلك في بعض المصادر : " إن بني أمية كانت لا تستخلف بني الإماء ، وقالوا : لا تصلح لهم العرب ... "[3]

---

[1] المولى : وهو مسلم غير عربي أبا وأما .

[2] ابن الأمة : وهو من أب عربي وأم اعجمية : فارسية كانت أم رومية أو كردية ... الخ.

[3] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص١٣٠.

وينقل صاحب العقد الفريد رواية عن الأصمعي قوله : " أن بني أمية كانت لا تبايع لبني أمهات الأولاد ، فكان الناس يرون ذلك لإستهانة بهم ..[1] ويستمر صاحب العقد الفريد برواية الأصمعي في قوله : " ولم يكن لذلك ، ولكن لما كانوا – أي بنو أمية – يرون أن زوال ملكهم على يد ابن أم ولد .. فلما ولي الناقص ظن الناس أنه الذي يذهب ملك بني أمية على يديه ، وكانت أمه بنت فيروز بن يزدجرد ابن كسري يذكر الكبري أنه أمه وإسمها شاه افريد بنت فيروز ابن يزدجرد واكن يزيد يقول :

انا ابن كسرى وأبي مروان ***وقيصر جدي وجدي خاقان

، فلم يلبث إلا تسعة أشهر حتى مات ، ووثب مكانه مروان بن محمد وأمه كردية ، فكانت الرواية عليه.."[2]

وعلى هذا تأثر بعض المؤرخين المحدثين بهذه الروايات والأقاويل وعللوا على ضوئها عدم أهلية مسلمة بن عبدالملك من الوصول إلى كرسي الخلافة ... فقد جاء ذلك مثلا : " وكانت بنو أمية لا تزال تعلق قيمة كبيرة على ميلاد الرجل من أم كريمة. وكانت أم مسلمة بن عبدالملك جارية غير عربية ، ولذلك لم ينظر إليه الترشيح للخلافة ، رغم أنه كان رجلاً كفؤاً وحاذقاً ، ورغم أنه كانت له في أسرة الأمويين أرفع مكانة "[3]

ونحن في تحليلنا لفحوى هذه الروايات ومحتواها ، ولكي يسهل علينا مناقشتها والتعليق عليها ، ارتأينا حصرها وصياغتها بالأمور الآتية :

١- إن العرب – كانت ترى عدم صلاحية أبناء الإماء للخلافة.
٢- إن الناس – وهي كلمة عامة – كانت تستهين بأبناء الإماء لذا كانت بنو أمية لا تبايع لهم.
٣- وإن الأمويين كانوا يتشاءمون من " ظن الناس " بأن زوال ملكهم يكون إذا ما استخلف عليهم ابن أمه.

---

[1] ابن عبدربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ١٣١ .

[2] ابن عبدربه ، العقد الفريد ، جـ٦ صـ ١٣١ .

[3] تاريخ الدولة العربية وسقوطها ، ترجمة محمد عبدالهادي ابو ريده ، القاهرة ، ١٩٦٨م/١٣٨٨ه ، ص ٣٠٣ ، هامش رقم (١).

الواقع ، أن هذه الأمور الثلاثة – منفصلة أو مجتمعة – تثير في ذهننا – أو في ذهن غيرنا – كثيراً من الشكوك والتساؤلات على الصعيدين النظري والواقعي ، نستطيع طرحها بالأمور الآتية :-

١- وفيما يخص الأمر الأول فما علينا إلا أن نسأل : من قال أن العرب ، كانت ترى عدم صلاحية أبناء الإماء للخلافة ؟؟ وما هو القصد من وراء إلصاق هذا الزعم بالعرب ؟؟ والعرب منه براء .. خاصة وبعد أن انصهر العرب انصهاراً تاماً في بوتقة المبادئ الإسلامية الإنسانية السامية ، والتي لا تفرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى ..

وأي خليفة يا ترى من خلفاء العرب كان يرى مثل هذا ؟؟ وحتى لو جعلنا هذا على صعيد الخلافة الأموية ، فأي خليفة من خلفائهم كان ينظر إلى ابن له من جارية – نظرة ازدراء واحتقار .. ؟ وأما بخصوص مسلمة بن عبدالملك بالذات ، فهل كان أبوه ينظر إليه بمثل هذه النظرة ، وهو الذي نعته " بناب بني أمية " وغيرها من النعوت والصفات السامية العالية...

٢- وفيما يخص بالأمرين الثاني والثالث ، فما علينا إلا أن نطرح الأسئلة الآتية :

أ- من هم هؤلاء " الناس " الذين كانوا يستهينون بأبناء الإماء ؟ وعلى أي مستوى فكري ، أو اجتماعي أو سياسي كان هؤلاء ؟؟

ب- وهل أن الأمويين " وكل الأمويين " – سواء كانوا على الصعيد الرسمي أو على الصعيد الشعبي – كانوا يتشاءمون من " ظن الناس " بزوال ملكهم ، إذا ما استخلف عليهم ابن أمه ؟

جـ- وأي خليفة من خلفاء بني أمية ، كان قد أزهر تشاؤمه من "ظن الناس" هذا ؟

٣- إن مثل هذه الروايات وغيرها ، رغم عدم انسجامها مع الأسس والمبادئ الشرعية التي جاء بها الإسلام والتي أقرت من قبل الفقهاء في شروط ولاية العهد أو الخلافة ...[١] فإنها تفتقر في الوقت نفسه إلى النصوص التاريخية ... خاصة وأن لدينا

[١] الماوردي (ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي) (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) – الأحكام السلطانية – دار الحديث القاهرة

من النصوص التاريخية ما يشير إلى أن بعض خلفاء بني أمية قد عقد البيعة لأبناء إماء لمنصب ولاية العهد ، كما تجلى ذلك عند الوليد بن يزيد بن عبدالملك[1] كما أن يزيد الثالث (الناقص) الذي ولي الخلافة بعده كان ابن أمه وأمه فارسية ، وأن مروان بن محمد (الحمار) آخر خلفاء بني أمية كان ابن أمه أيضاً وأمه كردية .. كما أشرنا إلى ذلك.

٤- والواقع كما يبد لي، أن مثل هذه الروايات وغيرها ، لم تكن من طبيعة الفكر العربي الإسلامي إذا كان ذلك على الصعيد النظري ولا من طبيعة الفكر العربي الإسلامي إذا كان ذلك على الصعيد النظري ولا من طبيعة الحكم الأموي – وعبر تاريخه – إذا كان ذلك على الصعيد الواقعي .. وإنها لا تعدو عن كونها روايات موضوعة ، أريد بهغ إشاعة الفوضى ضد الحكم الأموي ، والإسراع به نحو الزوال والسقوط ، وهي لا تقل عن بقية الشعارات والأفكار الأخرى التي كانت تطرح آنذاك بين الناس الساخطين على هذا الحكم ... مثل إشاعة فكرة الرجل المنقذ ، أو صاحب الرايات السود الذي يظهر من المشرق فيزيل حكم بني أمية أو ظهور المهدي المنتظر وغيرها...

وعليه – فالمسألة تبدو – في أن عدم ترشيح مسلمة بن عبدالملك بالذات إلى منصب الخلافة ، أو منصب ولاية العهد – أبعد بكثير عن مسألة كونه " ابن الأمه " بقدر ما هي مسألة كانت تتعلق بالموقف الذي يكون عليه الخليفة[2] ، وميله أو رغبته في ترشيح ابنه أولا وتفضيله على غيره من إخوته أو غيرهم من أفراد الأسرة الأموية أو إلى ظروف أخرى خاصة كانت تحيط بالخليفة ، عندما كان يقدم على ترشيح أحد من أفراد الأسرة للخلافة أو وكيل عهد لها..[3]

---

[1] فالوليد بن يزيد بن عبدالملك : (١٢٥ هـ – ١٢٦ هـ / ٧٤٣ م – ٧٤٤ م) ، وقد عقد البيعة لاثنين من ابنائه ، وكانا ابنين لأم ولد كانت أمهم جارية عنده ، ولم يكونا قد بلغا سن الرشد.
فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٣٤٦.

[2] لم يكن هناك دستوى أو نظام معين له أسسه وقواعده – على الصعيد العملي أو الواقعي – يقرر على ضوئه تقرير مصير الخلافة أو ولاية العهد – وذلك من أن أوجد معايون بن أبي سفيان – ولأول مرة في التاريخ الاسلامي – مبدأ ولاية العهد ، أو مبدأ الوراثة في الحكم .. لذا كان هذا المبدأ يسير وفقاً لما كانت تمليه الظروف المحيطة بكا خليفة ، فهو الذي كان يقرر في جعل هذا المبدأ مباشراً – أي لأحد أبنائه من بعده – أو غير مباشر – أي لأحد من أفراد الأسرة أو العائلة الحاكمة للأخ أو لابن العم وهلمجرا ...

[3] لو تتبعنا عملية سير تطبيق ولاية العهد ، وضربنا على ذلك أمثلة من الواقع الذي مرت به عبر التاريخ الأموي لأصبح الأمر أمامنا واضحا وجليا ، ولنبدأ بعرض الأمثلة بصورة مركز ودقيقة – بدءا بخلافة عبدالملك ابن مروان :

وبخصوص مسلمة بن عبدالملك بالذات ، فإنه – كما أوضحت سابقاً – قد صرف نفسه منذ البداية عن الظهور بمظهر الرجل الطموح للخلافة ، أو لولاية العهد وأنه قد وجه جميع طاقاته وقدراته الشخصية والفكرية نحو الأدب ورعايته – كما أشرت ، وإلى تولى قيادات عسكرية وإدارية وإلى استغلال ثوراته الكبيرة في مشاريع اقتصادية نافعة ،

والواقع ، أن مسلمة بن عبدالملك لم يقف موقف المتفرج ، أو أنه كان يقف مكتوف اليدين إزاء ما كان يحدث حوله من أمور تتعلق بتقرير مصير الخلافة ، أو لمن كان يرشح لولاية العهد ، وإنما كانت له مواقفه الجريئة في النقد ، والتوجيه ، والنصح والإرشاد وحتى في ترشيح من ستؤول إليه ولاية العهد.

١– لقد جهد عبدالملك بن مروان أن يحمل أخاه عبدالعزيز على التنازل عن الخلافة ، لكي يصرفها إلى ابنه الوليد ، ولكن لم يثمر ، وامتنع عبدالعزيز امتناعاً شديداً ، ولم يفد معه الترهيب ولا الترغيب ، ولكن القدر اسعد عبدالملك ، بأن مات عبدالعزيز قبله ، وعقد ذلك جعل عبدالملك ولاية العهد في الوليد أكبر أبنائه.

انظر : فلهاوزن ، تلاريخ الدولة العربية ، ص٢١٦.

٢– وجاء بعد الوليد الأول أخاه سليمان ، وكان عبدالملك قد أخذ له البيعة وليا للعهد بعد الوليد ، ومما يذكر أيضاً . أن عبدالملك قد عقد لابنه يزيد أن يتولى الخلافة بعد الوليد وسليمان ابنيه ، واخذ عبدالملك من الوليد وسليمان العهد على ذلك.

الطبري ، جـ ٨ ، ص ٢٥٦ .

ومن الجدير بالذكر ، أن الوليد حاول خلفه اخيه سليمان من ولاية العهد ، وتعيين ابنه عبدالعزيز في عام ٩٦ هـ / ٧١٤م ، ولكن وفاة الوليد حالت دون ذلك.

الطبري ، جـ ٨ ، الحسينية ، ص ٩٩ .

٣– ولكن سليمان لم يلتزم بالعهد ، فعهد إلى ابنه أيوب بالخلافة ، ولكن أيوب مات في حياة سليمان ، وقبل أن يجعل سليمان الخلافة في ابنه الثاني داود – وكان هذا مع الجيش الأموي أمما القسطنطينية – وكان سليمان على فراش الموت .. فوقع سليمان تحت تأثير الرجل الفقيه العالم – رجاء بن حيوة الكندي ، الذي استطاع أن يقنع سليمان بأن يرضى الله بوصية يستخلف فيها على المسلمين الرجاء الصالح .. فتخطى سليمان الورثة المباشرة ، وعهد بالخلافة إلى ابن عمه الورع التقي عمر بن عبدالعزيز ، على أن يكون بعده يزيد بن عبدالملك..

الطبري ، جـ ٨ ، ص ٢٥٦ – ٢٥٧ .

٤– وان عمر بن عبدالعزيز قال عند وفاته : لو كان الأمر إلى لوليت ميمون بن مهران والقاسم بن محمد ، وكانا من فقهاء عصره.

اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٥٢ – ٥٣ .

٥– وقد حاول يزيد بن عبدالملك جعل ولاية العهد لابنه الوليد ، غير أن صغر سنه حال دون ذلك ... وقد لعب مسلمة بن عبدالملك دوره الرئيسي والفعال في اقناع يزيد ، وجعل ولاية العهد لهشام أخيه ، ومن بعده لابنه الوليد ، فنجح بذلك ... كما سنوضح ذلك من خلال هذا الفصل.

٦– واخيرا ، فإن الوليد بن يزيد بن عبدالملك قد عقد البيعة لولدين له – وكانا ابنين لأم ولد – كما اشرنا...

وعليه ، فمن هذا العرض الدقيق المركز ، نستطيع أن نخرج ، بأنه لم تكن هناك قاعدة معينة للترشيح للخلافة او لولاية العهد ، كما أنه لم نلمس من خلال هذا العرض المركز أيضاً ،أي تجاه يشم منه رائحة التمييز في كون المرشح هو ابن أمه أو ابن حرة.

فمن مواقفة الجريئة ، يروي أنه قال لأخيه هشام : كيف تطمح في الخلافة ، وأنت بخيل وأنت جبان [١].

كما كان لمسلمة مواقف مشهودة مع بعض الخلفاء الذين عاصرهم ولازمهم ، فمن ذلك ، ما سبق أن أشرنا إليه من علاقاته الوطيدة مع الخليفة الورع عمر بن عبدالعزيز واتصالاته الوثيقة مع أخيه الخليفة يزيد بن عبدالملك ، وملازمته إياه حتى ساعة وفاته .

وقد لعب مسلمة دوراً فعالا في مجئ أخيه هشام إلى كرسي الخلافة ذلك. ، أن هشاماً ما كان يسير في موكب إلا ومسلمة أخوه معه[٢] ... وعندما كانت العلاقة تسئ بين هشام وولي عهده الوليد بن يزيد بن عبدالملك ، كان " مسلمة يعيب هشاماً ويكفه عنه "[٣]

أليس في هذا كله ما ينم على أن مسلمة بن عبدالملك كان خليفة .. ولكن بلا إسم أو بلا مسمى ، إن صح لنا هذا التعبير.

٢ – مسلمة ومسألة ولاية العهد :

ذكرت أن مسلمة لم يرشح لمنصب ولاية العهد ، لا من قبل أبيه عبدالملك ، ولا من قبل أحد من اخوته الأربعة الذين تربعوا على كرسي الخلافة[٤] .. ولكن ذلك بدافع من كون مسلمة " ابن أمه " ، وإنما كان تبعاً للظروف التي كانت تحيط بكل خليفة ، كما أسلفنا ، وإلى ما كان أيضاً من أمور تتعلق بمسلمة نفسه الذي لم يظهر طموحاً أو ميلاً لنيل مثل هذا المنصب ، رغم ما كان يتحلى به من كفاءة عالية ، ومكانة سامية بين أعضاء الأسرة الأموية.

ومع ذلك فقد كان مسلمة يرقب الأحداث عن كثب ويرصد ما كان يجري من أمور ، خاصة تلك التي كانت تتعلق بتقرير مصير ولاية العهد ، والتي برزت مشكلتها بصورة جلية في خلافة يزيد بن عبدالملك.

---

[١] الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ٢ ، ص ١٦٩.
ويروي أن الوليد كان يقول لأخيه هشام أيضاً : يا أحول يا مشئوم .
المرجع السابق ، جـ ٣ ، هامش (٥) ص ١٨٨ .

[٢] تاريخ الخلفاء ، لمؤلف مجهول ، ص ٤٥٣ .

[٣] العيون والحدائق ، لمؤلف مجهول ، ص ٨٢ .

[٤]: ما ورد في هامش رقم (٤) من هذا الفصل.

ويبدو أن الخليفة يزيد بن عبدالملك ، لم تكن تتبلور في ذهنه بعد فكرة مسبقة في تعيين أو ترشيح ولي عهد له يخلفه لتولي منصب الخلافة ، خاصة وأن ابنه الوليد كان لا يزال فتى يافعاً رغم أنه كان يرغب في قراره نفسه أن تكون ولاية العهد له.

وقد برز ثلاثة مرشيحن لولاية العهد وهم :

١- الوليد بن الخليفة يزيد ، وهو فتى ، وكان يومئذ ابن إحدى عشرة سنة[١].

٢- عبدالعزيز بن الوليد بن عبدالملك ، الذي كان للعباس بن الوليد يميل إلى ترشيحه[٢] ، ولكن مسلمة استطاع أن يقنع الخليفة يزيد ويمنعه ، ويجعل ولاية العهد لهشام ومن بعده للوليد بن يزيد بن عبدالملك [٣].

٣- هشام بن عبدالملك ، والذي كان مسلمة يميل إلى ترشيحه لولاية العهد ، فنجح.

ولعل في المقابلة التي جرت بين يزيد بن عبدالملك ومسلمة ، ما يكشف لنا النقاب عن دور مسلمة ونجاحه في جعل ولاية العهد لهشام ابن عبدالملك أولاً ومن بعده للوليد بن يزيد بن عبدالملك ، وهذه نصها :-

" قال العباس بن الوليد للخيفة يزيد بن عبدالملك : يا أمير المؤمنين لو عهدت عهداً إلى عبدالعزيز بن الوليد لكان سكناً لأهل الشام .. فقال يزيد : أنظر في الأمر ، وامضيه غداً إن شاء الله. فبلغ الخبر مسلمة ، فدخل على يزيد وقال : يا أمير المؤمنين ، أولد عبدالملك أحب إليك أم ولد الوليد ؟ قال : بل ولد عبدالملك . قال : وأخوك أحق بالخلافة أن ابن أخيك ؟ فقال : إذا لم يكن في ولدي ، فأخي أحق بها من ابن أخي . قال : فبايع إذاً لأخيك هشام ، ومن بعده لإبنك الوليد .. والوليد يومئذ ابن إحدى عشرة سنة . فعقد الأمر لهشام ، ولإبنه الوليد من بعده ، فبايع الناس لهما على ذلك في سنة اثنتين ومائة "[٤]

وقد ساور يزيد بن عبدالملك الندم على بيعته لهشام ، وتقديمه على ابنه الوليد ، وقد جاء في ذلك : " إن يزيد كان إذا رأى الوليد ابنه توجع بسبب تأخيره من بعده

---

[١] تاريخ الخلفاء ، مؤلف مجهول ، ص ٣٨٣ .

[٢] تاريخ الخلفاء ، مؤلف مجهول ، ص ٣٨٣ – ٣٨٤ .

[٣] العيون والحدائق لمؤهل مجهول ، ص ٨٢.

[٤] تاريخ الخلفاء ، لمؤلف مجهول ، ص٣٨٣ – ٣٨٤ ، وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٥ ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٩١ ، والأصفهاني ، الاغاني ، جـ ٧ ، ص ٢ – ٣ .

هشام ، لأن الوليد كان عند مبايعة أبيه لهشام صغيراً لما يبلغ ، فلما بلغ الحلم ، ندم على تولية هشام ، وقال : لو انتظرت بلوغ ابني ... ولكن مسلمة لم يدعني ، وكان إذا رأى الوليد يقول : الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك [1].

ولعل في مشكلة ولاية العهد هذه والتي برزت في خلافة يزيد بن عبدالملك لخير دليل أيضاً على ما سبق أن أشرنا إليه ، وذلك بأن تقرير مصير ولاية العهد ، كانت تتوقف على الظروف التي كانت تحيط بالخليفة نفسه ، ورغبته ، وهي أبعد من أن تكون مسألة كون هذا الشخص هو " ابن أمه " أم لا.

٣- مسلمة ومواقفه تجاه بعض الميول والحركات السياسية والعسكرية :

مسلمة بن عبدالملك رجل أموي ، ومن الفرع المرواني . وقد كرس جميع جهوده وطاقاته الإدارية والعسكرية ، والمالية والفكرية في صيانة الخلافة الأموية المروانية والدفاع عنها وتثبيت أركانها . وقد تعاون تعاوناً وثيقاً وإيجابياً مع جميع الخلفاء الأمويين الذي عاصرهم وعاش معهم ، بدأ بخلافة أبيه عبدالملك بن مروان وإنتهاءاً بخلافة أخيه هشام ابن عبدالملك . ويعني هذا أنه واكب مسيرة ستة خلفاء مروانيين.

وتعتبر الفترة التي عاصرها مسلمة وواكب مسيرتها أوج ما بلغته الخلافة الأموية من التقدم والرقي والقوة في مختلف شؤون الحياة الفكرية ، والحضارية والإدارية والعسكرية ، كما شهدت – الفترة نفسها – أعنف الحركات والثورات السياسية والعسكرية.

إن الذي يهمنا هنا هو تبيان مواقف مسلمة تجاه بعض الميول السياسية التي تمثل بعضها على صعيد فردي ، وبعضها الآخر على صعيد ثورات سياسية وعسكرية أسهم في بعضها ولم يسهم في بعض الآخر ، ويمكن أن نبرزها بخمس تجاهات نركزها بما يأتي :-

أ- ثورات سياسية وعسكرية قامت ضد نظام الحكم الأموي ، ولم يسهم مسلمة في مقاومتها ، لكونه كان صغير السن يافعاً. كالثورة المختارية[2] والثورة الزبيرية[3] ...

---

[1] العيون والحدائق ، لمؤلف مجهول ، ص ٨٢ ، وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٥ ، ص ٩١ .

[2] كانت ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة سنة ٦٦ هـ / ٦٨٥ م . واكن عمر مسلمة حوالي ثلاث سنوات.

[3] كانت ثورة عبدالله بن الزبير في الحجاز ، وثورة أخيه مصعب بن الزبير في العراق (البصرة) في الفترة ما بين ٦٧ هـ – ٧٣ هـ / ٦٨٦م – ٦٩٢م . وكان عمر مسلمة خلالها من أربع إلى عشر سنوات.

وثورة أخرى عسكرية قامت ضد الحكم الأموي لم يسهم أيضاً في مقاومتها – لكونه كان بعيداً عنها منشغلاً بحرب الروم – وهي الثورة الأشعثية[1]

ب– ثورة سياسية وعسكرية عارمة ، زعزعت مركز الخلافة الأموية وهزتها في الصميم في خلافة يزيد بن عبدالملك بن مروان ، وهي ثورة يزيد بن المهلب بن أبي صفره في العراق في عام ١٠٢هـ – ٧٢٠ م . وقد أسهم مسلمة في القضاء عليها قضاءا تاماً ، حيث كان قائداً للجيش ... كما سنوضح ذلك.

جـ– ثورات الخوارج وحروبهم . ولم يسهم مسلمة في مقاومتها جميعاً إلا في واحدة منها ، وكان ذلك في خلافة عمر بن عبدالعزيز ويزيد بن عبدالملك كما سنوضح ذلك.

د– بعض من مواقف مسلمة الطيبة والمشرفة مع بعض الشخصيات ذات الميول العلوية والعباسية.

هـ– وقد كان لمسلمة أيضاً بعض المواقف الفردية المشرفة مع بعض الأشخاص الذين وصلوا إلى مناصب سياسية وإدارية عالية في الحكم الأموي ، والذين جابهوا سخطاً ونقمة من قبل بعض الخلفاء الأمويين ، نذكر منهم عبدالرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري ، الذي كان يشغل منصب ولاية المدينة المنورة في خلافة يزيد بن عبدالملك بن مروان .. وقد غضب عليه الخليفة يزيد غضباً شديداً وعزله عن ولاية المدينة.. وقد هرب إلى الشام ، فلجأ إلى مسلمة ، فأجاره مسلمة واستوهبه من الخليفة يزيد ، غير أن الخليفة أصر على عزله وتعذيبه.

ونخص بالذكر أيضاً عمر بن هبيرة الفزاري ، الذي كان يشغل منصب ولاية الجزيرة الفراتية من خلافة عمر بن عبدالعزيز ثم شغل منصب ولاية العراق – بعد عزل مسلمة عنه عام ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م في خلافة يزيد بن عبدالملك . ولما ولي هشام بن عبدالملك الخلافة عزل عمر بن هبيرة عن ولاية العراق ، وولاها خالد بن عبدالله القسري . ولم يكتف هشام بن عبدالملك بعزل عمر بن هبيرة ، وإنما كتب إلى خالد القسري بتعذيبه ومصادرة أمواله وسجنه.

[1] كانت ثورة عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث الكندي والقضاء عليها بين سنتي ٨١هـ – ٨٣ هـ / ٧٠٠م – ٧٠٣م ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي في العراق.

وقد استطاع ابن هبيرة الحرب من السجن واللجوء إلى مسلمة ، فاستجار بمسلمة فأجاره ، ثم انطلق به إلى هشام بن عبدالملك ، فكلمه فيه ، فأمنه هشام على أن يؤدي ما طولب به فاداه .

هكذا لعب مسلمة بن عبدالملك دوراً سياسياً بارزاً في ظل الحكم الأموي ، سواء كان ذلك على صعيد الدولة كمسألتي الخلافة وولاية العهد ، أو على صعيد بعض الحركات والثورات السياسية والعسكرية والتي كان له في بعضها مواقف حازمة وقوة أسهم في القضاء على بعضها فساعد على تثبيت أركان الدولة الأموية .. إضافة إلى مواقفه المشرفة تجاه بعض الشخصيات ذات الميول السياسية العلوية منها والعباسية ... وكذلك تجاه بعض الأشخاص الذين جابهوا سخطاً ونقمة من بعض خلفاء بعض خلفاء بني أمية فاستجارهم وأجارهم . ولعل في كل هذه المواقف ما يدلل على قوة شخصية هذا الرجل ، وعلى ما كانت تتمثل فيه من خصائص وصفات متميزة تنم عن مواهب وقدرات عالية سجلت له في بطون التاريخ.